ترجمة الامام الغزالى عليه رحمة المولى المتعالى

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الامام الجليل أبو حامد الطوسى الغزالى حجة الاسلام * ومحجة الدين التى يتوصل بها الى دار السلام * جامع اشتات العلوم * والمبرز فى المنقول منها والمفهوم * جرت الائمة قبله لشأو ما قنع منه بالغايه * ولا وقف عند مطلب بل لم يبرح فى دأب لا يقضى له بنهايه * حتى أخمل من الاقران كل خصم بلغ مبلغ السها * وأخمد من نيران البدع كل ما تستطيع أيدى المجادلين مسها * كان رضى الله عنه ضرغاما الا أن الاسود تتضاءل لديه وتتوارى * وبدرا تماما الا أن هداه يشرق نهارا * وبشرا من الخلق الا أنه الطود العظيم * وبعض الناس ولكن مثلما بعض الجماد الدر النظيم * جاء والناس الى ردّ فرية الفلاسفة أحوج من الظماء لصايب السماء * وأفقر من الجدباء الى قطرات الماء * فلم يزل يناضل عن الدين الحنيفى بجلاد مقاله * ويحمى حوزة الدين ولا يلطخ بدم المعتدين حد نصاله * حتى أصبح الدين وثيق العرى * وانكشفت غياهب الشبهات وما كانت الاحديثا مفترى * هذا مع ورع طوى عليه ضميره * وخلوة لم يتخذ فيها غير الطاعة سميره * ترك الدنيا وراء ظهره * وأقبل على الآخرة يعامل الله فى سرّه وجهره * ولد بطوس سنة خمسين وار بعمائة وكان والده يغزل الصوف و يبيعه فى دكانه بطوس ولما حضرته الوفاة وصى به و بأخيه احمد الى صديق له متصوف من أهل الخير وقال له ان لى لتأسفا عظيما على تعلم الخط وأشتهى استدراك ما فاتنى فى ولدىّ هذين فعلمهما ولا عليك أن ينفد فى ذلك جميع ما أخلفه لهما ففعل فلما مات أقبل الصوفى على تعليمهما الى أن فنى ذلك النزر اليسير الذى كان خلفه لهما أبوهما وتعذر على الصوفى القيام بقوتهما فقال لهما اعلما أنى قد أنفقت عليكما ما كان لكما وأنا رجل من أهل الفقر والتجريد ليس لى مال فأواسيكما به وأصلح ما أرى لكما أن تلجآ الى مدرسة كأنكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما ففعلا ذلك وكان هو السبب فى سعادتهما وعلو درجتهما وكان الغزالى يحكى هذا و يقول طلبنا العلم لغير الله فابى أن يكون الا لله * ويحكى ان أباه كان فقيرا صالحا لا يأكل الا من كسب يده فى عمل غزل الصوف و يطوف على المتفقهة و يجالسهم و يتوفر على خدمتهم و يجتدى الاحسان اليهم والنفقة بما يمكنه عليهم وانه كان اذا سمع كلامهم بكى و تضرع وسأل الله أن يرزقه ولدا و يجعله فقيها * ويحضر مجالس الوعظ فاذا طاب وقته بكى وسأل الله أن يرزقه ولدا واعظا فاستجاب الله دعوتيه أما أبو حامد فكان أفقه أقرانه * وامام أهل زمانه * وفارس ميدانه * كله شهد بها الموافق والمخالف * وأقر بحقيتها المعادى والمحالف * وأما أحمد فكان واعظا تنفلق الصم عند استماع تحذيره * وترعد فرائص الحاضرين فى مجالس تذكيره * قرأ الغزالى فى صباه طرفا من الفقه ببلده على أحمد بن محمد الزاذكانى ثم سافر الى جرجان الى الامام أبى نصر الاسماعيلى وعاق عنه التعليقة ثم رجع الى طوس * قال الامام أسعد المهنى فسمعته يقول قطعت علينا الطريق وأخذ العيارون جميع ما معى ومضوا فتبعتهم فالتفت الىّ مقدمهم وقال ارجع ويحك والا هلكت فقلت له أسالك بالذى ترجو السلامة منه أن ترد علىّ تعليقتى فقط فما هى شئ تنتفعون به فقال لى وما هى تعليقتك فقلت كتب فى تلك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها فضحك وقال كيف تدعى انك عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم ثم أمر بعض أصحابه فسلم الىّ المخلاة * قال الغزالى فقلت هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدنى به فى امرى فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علقته وصرت بحيث لو قطع على الطريق لم أتجرد من علمى * وقد روى هذه الحكاية عن الغزالى أيضا الوزير نظام الملك كما هو مذكور

فى ترجمة نظام الملك من ذيل ابن السمعانى * ثم ان الغزالى قدم نيسابور ولازم امام الحرمين وجد وأجتهد حتى برع فى المذهب والخلاف والاصلين والجدل والمنطق وقرأ الحكمة والفلسفة وأحكم كل ذلك وفهم كلام أرباب هذه العلوم وتصدى للرد عليهم وابطال دعاويهم وصنف فى كل فن من هذه العلوم كتبا أحسن تأليفها * وأجاد وضعها وترصيفها * وكان رضى الله عنه شديد الذكاء عجيب الفطرة مفرط الادراك بعيد الغور غواصا على المعانى الدقيقة جبل على مناظر محجاجا وكان امام الحرمين يصف تلامذته فيقول الغزالى بحر مغرق * والكيا اسد مخرق * والخوافى نار تحرق * ويقال ان الامام كان بالآخرة يتمعض منه فى الباطن وان كان يظهر التبجح به فى الظاهر * ثم لما مات امام الحرمين خرج الغزالى الى المعسكر قاصد الوزير نظام الملك وناظر الائمة والعلماء فى مجلسه وقهر الخصوم وظهر كلامه على الجميع واعترفوا بفضله وتلقاه الصاحب بالتعظيم والتبجيل وولاه تدريس مدرسته ببغداد وأمره بالتوجه اليها فقدم بغداد فى سنة أربع وثمانين وار بعمائة ودرس بالنظامية وأعجب الخلق حسن كلامه وكمال فضله وفصاحة لسانه ونكته الدقيقة واشاراته اللطيفة وأحبوه وأحلوه محل العين بل أعلى * وقالوا أهلا بمن أصبح لاجل المناصب أهلا * وأقام على التدريس وتعليم العلم مدة عظيم الجاه زائد الحشمة عالى الرتبة مشهور الاسم تضرب به الامثال وتشد اليه الرحال الى أن شرفت نفسه عن رذائل الدنيا فرفض ما فيها من التقدم والجاه وترك كل ذلك وراء ظهره وقصد بيت الله الحرام فحج وتوجه الى الشام فى ذى القعدة سنة ثمان وثمانين واستناب أخاه فى التدريس وجاور ببيت المقدس ثم عاد الى دمشق واعتكف فى زاويته بالجامع الاموى المعروفة اليوم بالغزالية نسبة اليه ولبس الثياب الخشنة وقلل طعامه وشرابه وأخذ فى التصنيف للاحياء وصار يطوف المشاهد * ويزور التربة والمساجد * ويأوى القفار * ويروض نفسه ويجاهدها جهاد الابرار ويكلفها مشاق العبادات * ويبلوها بأنواع القرب والطاعات * الى أن صار قطب الوجود * والبركة العامة لكل موجود * والطريق الموصل الى رضا الرحمن * ثم رجع الى بغداد وعقدها مجلس الوعظ وتكلم على لسان أهل الحقيقة وحدث بكتاب الاحياء * قال ابن النجار ولم يكن له استاذ ولا طلب شيئا من الحديث * لم أر له الا حديثا واحدا سيأتى ذكره فى هذا الكتاب يعنى تاريخه قلت ولم أره ذكر هذا الحديث بعد * وقد أخبرنا أبو عبد الله الحافظ بحديث من حديثه أوردناه فى الطبقات الكبرى * قال الامام محمد بن يحيى * الغزالى هو الشافعى الثانى * وقال أسعد الميهنى لا يصل الى معرفة علم الغزالى وفضله * الا من بلغ أو كاد يبلغ الكمال فى عقله * وقال أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد المنعم العبدرى رأيت بالاسكندرية فيما يرى النائم كان الشمس طلعت من مغربها فعبر ذلك بعض المعبرين ببدعة تحدث فيهم فوصلت بعد ايام المركب باحراق كتب الغزالى بالمريه ثم ان الغزالى عاد الى خراسان ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور مدة يسيرة ثم رجع الى طوس واتخذ الى جانب داره مدرسة للفقهاء وخانقاه للصوفية ووزع أوقاته على وظائف من ختم القرآن ومجالسة أرباب القلوب والتدريس لطلبة العلم وادامة الصلاة والصيام وسائر العبادات الى أن انتقل الى رحمة الله ورضوانه طيب الثناء * أعلى منزلة من نجوم السماء * وأهدى للامة من البدر فى الظلماء * لا يبغضه الا حاسد أو زنديق * ولقد كان فى ثغر الاسكندرية من مدة قريبة أدركها اشيا خنا شخص يبغض الغزالى ويغتابه فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما الى جانبه وكأن الغزالى واقف بين يديه وهو يقول يا رسول الله هذا يعنى الرائى يتكلم فى ويؤذينى قال فقال النبى صلى الله عليه وسلم هاتوا السياط وأمر به فضرب بين يديه لاجل الغزالى

قوله الكيا هو بكسر الكاف وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها ألف كان من رؤس معيدى امام الحرمين فى الدرس وكان ثانى أبى حامد الغزالى بل أصل وأصلح واطيب فى الصوت والنظر ولد فى ذى القعدة سنة ٤٥٠ وتوفى سنة ٤٠٥ ببغداد وقوله الخوافى نسبة الى خواف بفتح الاولى هو أبو المظفر أحمد بن محمد بن المظفر الخوافى كان أنظر أهل زمانه انتهى ابن خلكان

وقام هذا الرجل من النوم وأثر السياط على ظهره * ومن تصانيف الغزالى *البسيط والوسيط * والوجيز * والخلاصة * والمستصفى * والمحصول * وتحصين الادله * وشفاء الغليل * والاسماء الحسنى * والرد على الباطنية * ومنهاج العابدين * واحياء علوم الدين * وغير ذلك من التصانيف توفى بطوس يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة ولو أردنا استيعاب ترجمته لطال الشرح وفيما أوردناه مقنع وبلاغ

تمت الترجمه